

التعصب وثقافة العصر

إسلام فاروق عيسى

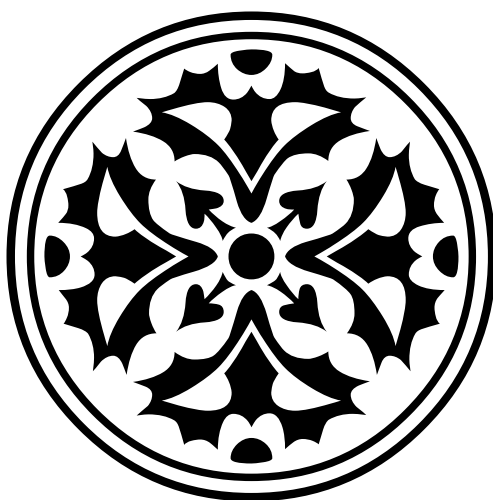
بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين وأصحابه المنتجبين وبعد :

فإن الأمم إنما ترقى وتنمو في ظل التفاعل الأيدولوجي والوجداني ؛ وإن أي محاولة للفصل بين الإنسان والفكر ، أو الإنسان والعاطفة لهو من أبشع الأخطاء التي تقع فيها المجتمعات والتيارات الفكرية المختلفة . ولما كانت مجتمعاتنا بحاجة إلى خلق ذلك التفاعل الإيجابي بين الفكر والعاطفة ، كان لابد من التنقذ بثقافة الاعتدال على الصعد والمستويات كلها . وتلك هي اللبنة التي بنيت عليها فكرة هذا البحث ، بعد استطلاع عدد من التجارب التاريخية والاجتماعية التي بينت انغماس تلك المجتمعات في مفاهيم كثيرة نأت بها عن خريطة التعايش التي أريد لها أن تكون على هذه الأرض ومن تلك المفاهيم : التعصب الذي يكاد ان يصبح ثقافة يتنقذ بها ، بعد أن غزا مفاصل عديدة وخطيرة من حياة البشر . ويحاول هذا البحث الكشف عن أثر هذا المفهوم في حياة الناس ، وثقافتهم المختلفة ، موضحا أسباب التعصب وآثاره ، محاولا إيجاد حلول لمشاكله ، والإجابة على الاستفهامات التي تحيط ببعض المفاهيم التي أصبحت بفضل التعصب متغيرا ثقافيا . لم يقسم البحث على فصول أو مباحث ، بل اكتفى بعناوين تستقرئ مظاهره وهي : المتغيرات الثقافية والفطرة البشرية ، والتعصب والعزلة الفكرية ، وسمات الشخصية العصابية ، وآثار التعصب ، ثم حلول ، وخاتمة بينت أهم النتائج التي وصل إليها البحث . وأخيرا فإن ماكتب في هذه الأوراق لا يعدو كونه محاولة للبحث والكتابة ، ترجو تحقيق شيء من الفائدة . والله ولي التوفيق .



تمهيد :



يختلف الناس في رؤاهم ومبعث ذلك اختلاف مشارب العقل والفكر . فلكل عقل تجاربه الخاصة التي تغني التفكير بالمعلومات والخبرة السابقة مما يسهم في تعزيز المفاهيم والرؤى المعتمدة .
إن العقل وفي خضم تكوينه للمفاهيم يعمد الى استقطاب كل ما يخضع لمحاول قدراته الاستيعابية ؛ ينشئ تصورات معينة عن الاشياء من حوله فيترجم كل تصور في سلوكه ومواقفه من الحياة والاشخاص والافكار . وقد يأخذ تلك المواقف مأخذا حديدا قد لا يرغب في تقاطعها مع غيرها ان اختلفت عنها وقد يسعى الى الغاء ما يتعارض معها في محاولة لابرار صحة رأيه . "ولكن لنذكر أن المعارف الانسانية هي مجموعة تجارب ، وأن التاريخ مليء بشواهد على افكار تظل قرونا تحوم في رؤوس الناس وعلى شفاههم ، ثم اذا أن أوانها تجسدت فاذا هي فتوحات علمية ذات شأن . فلا ينبغي أن نقسو على الماضي ولا ان نقيسه بمقاييس الحاضر . " (١)

و المرحلة الراهنة هي واحدة من المراحل المهمة في تاريخ الانسانية، والبعض يرى أنها ثالثة مرحلتين سابقتين مهمتين (٢) "

١- مرحلة انبثاق الحياة الانسانية على سطح الارض وقيام المجتمعات البدائية منذ آلاف السنين
٢- ومرحلة ظهور الثقافات أو التجليات الحضارية المتقدمة، وهي ما يطلق عليه البعض اسم الحضارات ، كالصينية والفرعونية والبابلية والاعريقية والعربية وغيرها . وقد صبت هذه التجليات جميعها في مجرى واحد تمهيدا لبدء المرحلة الراهنة مرحلة حضارة العلم والتكنولوجيا . " (٣) " وهذا العلم في الواقع العامل الاساسي في عملية التغيير الاجتماعي المتواصلة . فمنهجية عملية التغيير قائمة على منهجية العلم ، فاذا كانت منهجية العلم هي وضع فرضيات مؤقتة قابلة للتغيير على وفق قواعد معينة ، فان ما يترتب على هذه المنهجية العملية من تغيير دائم ونتائج متجددة ينعكس على الحياة الاجتماعية بأسرها . " (٤)

وقد عانى المجتمع وما زال يعاني من القمع الفكري ، انه حصيلة حقب من الاستبداد بالرأي والحكم بالسيف والنار ؛ عبر العصور كان المجتمع ضحية لمعتقدات وعادات هشت تناغمه مع الحياة بالصورة التي ترتقي به الارتقاء الامثل ، فمنذ الجاهلية ترصد ارهاصات الصراع النفسي الناجم عن القمع والارهاب الفكري والمادي . ان سيادة قانون القبيلة آنذاك باحكامه الهمجية أسس لقواعد ومنطلقات فكرية انضوت تحت الكثير من المغالطات التي ولدت صراعا نفسيا لدى الانسان فهو يغير على القبائل فيقتل الرجال وينهب الاموال ويسبي النساء ويأبى على نفسه ذلك كله ، مما ولد في المجتمع عقدا القتل بظلالها الكثيفة على طبيعة الافكار والحياة بصورة عامة . بدءا بمنطق البقاء للاقوى مرورا بظاهرة الربا وانتهاء بوأد البنات . ونظرة فاحصة في المفاهيم الثلاثة تحيل على اسقاطات تلك الحياة المتخبطة بين القيم واللاقيم فالعربي يحمل القيم العليا كالنخوة والشهامة والنجدة والكرم ، ولكن طبيعة الحياة كانت

تسير على ذلك المنوال الذي يخضع فيه الضعيف للقوي وما في ذلك من تبعات ولعل ذلك يفسر لنا قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق))(٥) مما يعطي اشارة واضحة الى وجود الخلق الحميد في المجتمع الجاهلي بيد انه كان يعاني من نكوصات كثيرة وقد كان للدين الاسلامي دور فاعل في معالجتها على وفق منهج قويم تمثل بتعاليم الشريعة الاسلامية السمحاء . واصبح ولاء الفرد للدين بدلا من القبيلة ، وحل الدين مكان القرابة كأساس للهوية الجماعية والولاء ، كما حل محل العرف أو أقره بوصفه قانون الجماعة (٦) وهنا أحدث الدين قفزة نوعية تعاطت مع النفس البشرية بما ينسجم وطبيعتها التي فطرت عليها .

المتغيرات الثقافية والفطرة البشرية :

إن الله تعالى هو خالق تلك النفس وهو الذي كونها بأبعادها المختلفة ولذلك فهو أعلم بما ينسجم مع فطرتها وكيونتها قال تعالى : ((والله أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) (٧) وقال جل وعلا : ((فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) (٨) مع أن هذا الرأي قد يقابل من بعض المجتمعات والتيارات الفكرية ، بالكثير من النقد والرفض ، نظرا لعدم وضوح التعاليم الاسلامية في أذهان تلك الجماعات فما زال كثيرون ينظرون الى الدين على انه دين تطرف وارهاب ، ولا سيما تلك التعاليم التي تخص المرأة ، فقضية الحجاب مثلا مازال تثير زوبعة عنيفة في كثير من المجتمعات والأوساط الرافضة لها بدعوى أنها إحدى الأحكام التعسفية والقيود المتخلفة التي تولد عقدا (complexes) عند المرأة ، مع أن الحجاب يتناغم مع طبيعتها الميالة الى تفادي كل ما يمكن أن يسيء إلى عفتها باعتماد الوسائل الدفاعية المختلفة . يقول الن بيس في كتابه (لغة الجسد) "عندما يجتاز الرجل المرأة في شارع مزدحم فهو عادة ما يستدير نحوها ، اما المرأة فعادة ما تستدير بعيدا عنه . ترى هل غريزتها تدفعها الى ذلك لتحمي انوثتها ؟ هل هي ردة فعل غريزتها الانثوية ؟ ام هي تعلمت فعل ذلك في اللاوعي بعد ان رأت الاخباريات يفعلن ذلك ؟"(٩) وهذا متناغم مع فكرة الحجاب، الذي يستوجب تقوى الله في كل فعل ، أو سلوك ، يقول تعالى : ((يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ))(١٠) وقال تعالى : ((وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ))(١١) ((وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ))(١٢) وقوله : ((وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ))(١٣) و الحالة التي يشير اليها الكاتب وجه من هذه الوجوه ، فابتعادها عن الرجل في الطرق المزدحمة دليل خوفها على نفسها ، أو دليل حيائها ، مما يشير إشارة واضحة إلى مدى التوافق بين التعاليم الشرعية والفطرة وذلك لتناغم الحجاب مع الوسائل الدفاعية التي تلجأ إليها المرأة في حماية نفسها .

ومن الظواهر التي حاربها الاسلام (الرق) ، الذي كان من أهم عوامل هدم النفس البشرية ، بما حمل المجتمع تبعات مأساوية عنيفة ، "ففي مجال الاقتصاد كان الرقيق ينتج بقوة الاكراه وكان شعوره بفقدان شخصيته الانسانية وكرامته يثير فيه الكراهية والحقد والمقت " (١٤) ولعل ردة الفعل كانت واضحة في ما قام به من ثورات هدفها التخلص من قيود العبودية ومثل الاسلام باستيعابه للعبيد وبيان أحقيتهم في الحياة الثرة الحقيقية على هذا الفكر . وجسد ذلك الانجاز العملاق الذي نهض به الرسول (صلى الله عليه وآله) تربية واصلاحا ، سعي الى تغيير فكرة المجتمع عن الاسود والابيض والطبقية التي حكمتها ، وهذا التغيير لا يتسنى الا لمن خبر الناس في ذلك المجتمع وعاش بينهم وهذا بالذات هو عمل التربويين في كل زمان ومكان "والمجتمع هو المستهدف بالعمل التربوي ، مما يوجب أيضا على المفكر التربوي ، أن يكون على وعي تام بالبنية الأساسية لهذا المجتمع واحتياجاتها " (١٥) .

وإذا سبرنا غورا في استطلاع تاريخ الثقافات الاخرى وجدنا قيام ثورات عديدة ضد الاستعباد . ومن ثورات العبيد في العهد الروماني ، عام ١٨٥ قبل الميلاد ثار عبيد المناجم في أترو ريا ، وبعدها في صقلية وكابو (١٦) . وغيرها كثير عبر الازمان المختلفة .

إن مشاعر الخوف والقلق التي تعترى الانسان وهو يواجه أي تغيير في حياته تنعكس بصورة مباشرة وبطريقة لاإرادية على طبيعة التفكير . لذا فإنه يميل إلى الحفاظ على نمطية أيديولوجية تسير حياته وتتحكم في مواقفه وردات فعله . وفي ظل معطيات التحول والانتقال ، من العصور البدائية إلى عصور أكثر تمدنا وتحضرا يلحظ عزوف الكثير عن مواكبة تلك التغيرات خوفا من تأثيرها على بعض المفاهيم التي عاش الانسان معتادا عليها ولاسيما تلك التي تمس موروثاته الاجتماعية .

لذا فإنه قد يعمد إلى نبذ تلك التغيرات وربما إلى محاربتها خشية تفاقم تبعاتها بالشكل الذي يصبح عبءا لا يطاق حمله . أو خوفا من المجهول وتلك قضية على تماس مباشر مع طبيعته التي فطر عليها فالانسان يحب الحفاظ على ما اعتاد عليه ويستأذ بما يتفق مع خبرته السابقة التي حملت إليه السعادة . وتلك حقيقة يشير إليها القرآن الكريم يقول تعالى : ((وأوتوا به متشابها)) (١٧) فاقنضت القدرة الالهية أن تكون الجنة التي خلقها الله تعالى جزاء المتقين بكل ما فيها من طيبات غير مختلفة عما اعتاد عليه الانسان في الدنيا لكنها تفوقها جمالا وطيبا . "فالحياة تستمد مقوماتها من البيئة تخضع بذلك لمقتضيات الحاضر ، فإذا ظهرت الذاكرة في تطور الاحياء ، فإن مهمة الذكريات أن تنير الحاضر بالخبرات المماثلة له في الماضي فتوفر على صاحبها الجهد المبذول في معاناة الحاضر ، ولكن اذا عكف الانسان على الماضي الى حد الاغراق فيه فذلك دليل على المرض ، في الهرم اذ تعجز الحياة عن السيطرة على الظروف والاندماج في الحاضر ، يحن الهرم الى الماضي عله يجد في (١٨) ذكرياته بعض بقايا المسرة ، وكذلك الامم تجد من القوى في بعث ذكريات الاجداد بنسبة ما تقصر عن توجيه الاحداث وفق

مشيئتها • وإذا تحول الحنين الى الماضي الى منطق رجعي باتخاذ الذكريات والظروف التي رافقت ظهور الدين مقياسا في تقييم الحاضر ، اذاً تم تجمد المجتمع فتقاعد عن تطورات الاحداث " (١٩) • وتلك طبيعة الانسان ، لذلك كان من الصعب على العرب ولاسيما قريش تقبل دين جديد ينظم حياتهم ، مختلف عما اعتادوا عليه •

وانطلاقا من هذا المفهوم الذي ترسخه التعاليم الالهية ، القائم على مجموعة من اللبنيات الطيبة ، المنسجمة مع كينونة الانسان في كل زمان ومكان ، سار النهج الاسلامي متمثلا بالنبوي (صلى الله عليه وآله) والمعصومين من بعده ، انه السعي الى تغيير الواقع الصعب الى آخر أكثر انفتاحا على المعاناة الانسانية التي ترزح تحتها حياة البشر • بيد ان هذا اصطدم بمصالح أهل النفوذ والسلطان ، فظل جزء من المجتمع غير قادر على التكيف مع وضعه الجديد • انها ثورة الصدمة في حياة لا تعباً الا بكل ماهو حسي ، لذلك ظهرت حركات كثيرة مناوئة للدين الجديد ، شكلت امتدادا للمفاهيم القديمة في محاولة لاسترداد قانون القبيلة ولكن هيهات فارادة الله اقوى من كل شيء •

قد يكون الانسان- في مجتمعنا- عاش مدة من الزمن وهو في حالة من التفاعل الايجابي مع الحياة في ظل الاسلام ، بيد ان متغيرات الحياة ولاسيما السياسية منها أخذت متسعا من التأثير في تزامم الافكار واضطرابها • فرضت عليه رضوخا قسريا لمفاهيم الساسة ، وخضوعا للفكر البديل المنضوي تحت سلطة معينة تقرر مصيره •

وإذا نُظر في تداعيات هذه القضية ستلحظ النتائج الخطيرة التي افرزت مؤثرات اخطر على حياة الفرد النفسية والمجتمعية •

ولاشك ان الفرد المسلم كان اكثر الافراد تعرضا للقمع الفكري ، فهو الى اليوم لم يلمس تطبيق النهج الاسلامي القويم في حل مشكلاته ، وظل متحيرا بين التصديق بسلامة هذا النهج في تسيير حياته بعد كل التطورات التي اجتاحتها وبين الاصوات الداعية الى نبذ افكار الانفتاح والتمسك بكل ماهو قديم ظنا بانه الطريق الاسلام للمحافظة على الثورة المحمدية بأبعادها كافة • "ان الشريعة بما تتضمنه من موضوعات قانونية legal subject –matter (بالمعنى المحدود) لا تزال تكون عنصرا مهما ، إن لم يكن اهم عنصر في الصراع القائم في عالم الاسلام اليوم بين الاتجاه التقليدي – الذي يتمسك بالتراث الماضي (Traditionalism) واتجاه التجديد (Modernism) الناتج عن تأثير الآراء الغربية " (٢٠) •

ان خلق التوازن النفسي يكمن في تصحيح منهج التفكير في معالجة المواقف المختلفة • فحرية التعبير وضمان الحفاظ على الحرية الشخصية في حدود قوانين المجتمع الذي ينتمي اليه الفرد لهو من اهم العوامل المسهمة في بناء افراد اصحاء النفوس • ولا ينكر في هذا الصدد اهمية العلم في تبلور الافكار لذا فمن الضروري ان يطلع الانسان على ما يحيط به ويسمح له بابداء الرأي ووضع الحلول للمعوقات •

وإلا فالعنف هو الرد الحتمي • " وعندما تنتشر ظاهرة العنف في مجتمع ما وتتوسع ، فإنها تجلب معها ظاهرة استقطاب وانشطار حيث يسود صراع الاضداد -طبقياً وفكرياً وحضارياً - وتنقسم الأشياء في ثنائية حاسمة محددة واضحة ، بين اللونين الاسود والابيض ولا توسط بينهما • غير ان ظاهرة العنف وتوأمها ظاهرة الاستقطاب والانشطار تمثلان خطراً كيانياً تجاه أي مجتمع توفيقى او حضارة توفيقية • لانهما تؤديان الى فصم عري العناصر المؤتلفة المتصالحة بأسلوب الحسم والبتير حيث يسقط عنصر ويسود عنصر مضاد آخر "(٢١) • ويمكن القول ان كل محاولة للنزوع الى العنف أو التمرد على التقاليد السائدة لا يلزم ان ينجم حتما عن التعصب فالمشكلة تدعو الى كثير من التفكير واعمال النظر • (٢٢)

ان الحرية هي من اهم العوامل المتممة لارتقاء المجتمعات وازدهارها • فهي عنصر يضمن معه البناء المنشود ، بيد أنه وظف غطاء للكثير من الافكار المنحرفة التي تنأى عن حقيقة جوهره السامي • إن قبول الحرية لجميع البشر وكذلك الحب للآخرين يبدو كفرض أخلاقي ، فهما الشعوران اللذان يقودان إلى أشكال الالتزام التي تساعد المضطهدين على التحرر الحقيقي (٢٣) مما يتطلب دوراً تربوياً مؤثراً ، قادراً على تنمية تلك المشاعر ، لأن الانسان وان كان مفطوراً على تقبل الخير الا انه يظل بحاجة الى اكتساب الخبرات الخيرة • فهو "يولد منذ الطفولة الأولى ، أملتس الحواس ، وليس له شعور متأصل ، وهو كأي مخلوق ناطق ، وغير ناطق ، يحتاج الى الترويض والتعلم لاكتساب المهارات ، فهو لا يعرف الخير ولا الشر ، ولا الحساب ولا العقاب ، ولا العمل الحسن ولا القبيح ، حيث اثبت العلم ان هذه الصفات لا تولد معه ، كالكذب والصدق والأمانة والغش ، ومن هنا يأتي دور الاسرة والمجتمع ، في تحديد معالم هذا الطفل ، في التعامل مع الواقع الذي يحيط به ، مع العلم ان للوراثة دور لا ينكر في تحديد وتأصيل الصفات بألوانها المتعددة ، وأهمها صفتا الشر والخير • "(٢٤)

وتحت عنوان الحرية وعناوين اخرى امتدت يد التطور ، لتشمل آفاقاً حرجة تمس حياة الانسان الخاصة والعامة ، وراحت تنثر في حنايا الافكار ما يربك الفهم الصحيح للتعامل مع المعطيات الحياتية ، بابعادها كافة ومنها الدين •

وبدأت تلك التعاليم التي كانت مصدر الطمأنينة والتواصل الروحي ، تموج في بحر متلاطم من أيديولوجيات لا تمت الى الاسلام بصلة ، مما أسهم في تشويش الكثير من المفاهيم في نظر الاجيال الجديدة وبالتالي في تعميق الهوة بين الانسان والفكر الاسلامي الصحيح • فضلاً عن تلاقح الفكر العربي بافكار اخرى نقلت بدورها عادات المجتمعات الاخرى اليه مما جعل الفرد غير قادر على الموازنة بين الدين والعرف فهو يخشى التخلي عن بعض الاعراف خوفاً من احكام المجتمع ويخشى عدم مراعاة التعاليم الشرعية خوفاً من العقاب الالهي وقد تكون سلطة المجتمع اقوى بكثير من سلطة الدين فقد يلجأ

الى مخالفة الشرع خوفا من العرف . وبين هذا وذاك تسلتل الكثير من المفاهيم المغلوطة التي ولدت عاهات فكرية وافرزت صراعات مريرة بين الجنوح الى حب التطور والتمدن وحب جارف الى التمسك بالاعراف التي ولد ونشأ معتادا عليها .

إن الإنسان إن لم يشعر أنه في بيئته ، وفي عالم وجوده الحقيقي ، وظل يرى الناس في ضوء هذا العالم الغريب ، فإنه لا يستطيع أن يتصور العالم والناس الذين يعيشون فيه باعتبارها موضوعات تعكس عالم الضرورة الموضوعي (٢٥)

والإسلام يعمد الى ان يعيش الفرد حياة توافقية مع الدين والمجتمع لذلك على الانسان -في مجتمعنا- ان لايفكر بالتخلي عن قيمه واعرافه التي تربي عليها قط مادامت متفقة مع الشرع وان لايجنح الى اقحام ماهو غريب عن المجتمع او مستهجن تحت ذريعة الحلال وهذا يتطلب حصانة فكرية عميقة نابعة من وجوب ادراكه ان لكل مجتمع اعرافه التي نشأ مؤمنا بها واعتاد عليها حتى صارت جزءا من حياته وان يدرك ان الدين جاء وله من المرونة ما يجعله ملائما لكل مجتمع وهنا يجب عليه تقبل افكار الاخر . يقول (سيمون الفريدو) : إن الاسلام يدعو الى ترسيخ الحوار مع الاخرين ويجذبهم بحكمة و جمال حضا على اعتناق هذا الدين القويم (٢٦) فمطلوب منه الوعي بمجموع الصفات التي تميزه وتحدد وحدانيته ، بما يضمن حفاظه على هويته (٢٧) "ان واقع الحياة يفرض على كل فرد منا نوعا من المشاكل ، وكثيرا من الخلافات ، فقد يختلف الانسان مع زميل او جار او صديق او حتى مع شقيق ، وكل ذلك لا يفسد للود قضية ، طالما ان هناك لغة حوار وتقارب ، وعقل يميز ويقيم ، وروح ملؤها المودة وحب الخير ، والميل الى الصلح والتسامح وعلى الوجه الاخر فقد يختلف الانسان مع نفسه ، وقد تتناقض افكاره مع ميوله وغرائزه ، او قد يصطدم ضميره مع نزعاته وجوانبه الشريرة ، التي تدفعه الى فعل المعصية ، او قد تختلف عواطفه واحاسيسه مع منطق عقله وحكمة التفكير . " (٢٨)

التعصب والعزلة الفكرية :

ويمكن تحديد اسباب التعصب بوصفه انعكاسا للانعزال الفكري بالاتي :

١- العناد

٢- التمسك ببعض الموروثات الاجتماعية الخاطئة

٣- اتباع الهوى

٤- اتباع الشائع بدعوى الاغلبية

ان التزمت والتعننت في تمسك الفرد بالرأي الشخصي ومعاداة كل رؤية مخالفة هو واحد من اخطر الافات التي تهدد المجتمع فالقول ماقلوه والرأي ماأراه ! انه يحدد الحقيقة سلفا قبل ان يستمع الى الآخر لذلك يصطدم القلب والعقل في خضم عملية التلقي بمعلومات غير منسجمة مع اهوائه التي يرتئها .

والتعصب مفهوم وضع في القرن الثامن عشر للتنديد بالترتيم الدينى ، وساد الاعتقاد بأنه سيزول بزوال ذلك الترتيم ، ولكن هذا لم يحصل ، وهذا دليل على انه غير موجه فقط لحل مسألة دينية تماما ، كما كان لمقاربة (فنونولوجية) أن تجعلنا نظن ، بل يغطي حاجات الانسان الاكثر تعقيدا وتسترا . (٢٩)

ان التحرر من قيود المصالح والاهواء والخوف من السلطة ، انجع الوسائل في الوصول بالانسان الى اعلى درجات الرقي الفكرى والنفسى . ومتى ما ادركت المجتمعات ذلك واستيقنته قولاً وعملاً نجحت في مداواة الكثير من امراضها المستعصية .

ولا شك ان بعض الموروثات والعادات السلبية المستحكمة في المجتمع عوامل مهمة في سقوطه في دوامة التعصب ، لانه اصطدم بثورة التغيير التي جاء بها الاسلام حيث يرفض التخلي عما ورثه عن ابيه واجداده واذا اردنا ضرب مثل على ذلك فلن نجد ما هو اوضح من موروث الطبقة الذي مازال يحكم المجتمع فالاغنى هو الاكثر مهابة وتقديراً وتقديماً في المجتمع والفقير او الضعيف مهان ذليل وتلك من اكثر القضايا التي سعى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى محاربتها في المجتمع الجاهلي فقال : (انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم القوي تركوه وان سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) .

ولابد من الاشارة الى ان التوازن المنشود لا يحقق بالانسلاخ من المجتمع او تبديل الانسان لجلدته بل انها محاولة لاستيعاب تجارب الاخرين والافادة من نتائجها الايجابية وتفادي السلبي منها .

وفي القرآن الكريم لمحات كثيرة تصور حالات من التعصب المرتبطة بمفهوم (الأنا) . إن قصة إبليس مع آدم (ع) توضح صعود الأنا بدافع التعصب التي تمثلت بالانتصار للعنصر ، ويجسد إبليس أول إشارة إلى العنصرية التي صارت داء نفسياً ومجتمعياً فيما بعد . قال تعالى : ((قال يا ابليس ما منعك ان تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)) (٣٠)

وتمثل قصة ابن نوح (ع) لمحة من لمحات التعصب للرأى المرتكزة على مفهوم العناد . فرفضه الاستماع الى نصيحة والده وتعصبه لرأيه الخاطئ كان سبباً في هلاكه ((قال يا بني اركب معنا قال سأوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله وحال بينهما الموج فكان من المغرقين)) (٣١)

وفي قصة ابراهيم مثال اخر على تعصب القوم لأرائهم ، مع ما اظهره لهم من الحجج البالغة على وجود الله . رفضوا اتباعه لتمسكهم بما ورثوه عن اباائهم من عبادة الاصنام . ويجسد التعصب في قصته (ع) قمة الاحساس بالانا المولدة للعنف اذ امروا بحرقه ((قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين))

(٣٢) اما فرعون فقد مثل أعلى درجات العنف الناجم عن الانا العليا ، ويتضح ذلك في مواطن كثيرة منها قوله : ((أنا ربكم الأعلى)) (٣٣) وقوله: ((امنتم له قبل ان اذن لكم)) (٣٤)

اذ تشكلت في شخصيته مركبات من العقد التي تولد عنها العنف الناجم من صعود الانا التسلطية الراضية لاي نوع من انواع الحوار والنفاش وهي تركز بالاساس على مفهوم العناد؛ وفي قصة يوسف (ع) مع اخوته والمكيدة التي حيكت له للتخلص منه اتساق واضح مع مفهوم (الانا) التي حركت نوازع الغيرة ((اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين)) (٣٥)

ولاشك ان الامثلة السابقة هي دليل على (الانا) السلبية ، التي تبرز في حدودها عناوين الانانية والتسلط ، وهذا لايعني ان الانسان لا يميل بطبعه الى التفرد ، ولكن لا بد من التمييز بين المفهومين • لأن التفرد لا يمكن ان يكون إلا صيرورة تنجز المعطيات والمحددات الفردية ، أي ما يجعل من فرد ما الكائن الذي يجب ان يكون بنفسه مرة وإلى الابد ، ومن هذا الواقع لن يكون متمركزا حول أنه بالمعنى الاعتيادي للعبارة ، ولكنه يحقق ببساطة طبعه ووجوده وهذا مختلف عن الانانية • (٣٦)

" وإذا نجح الأنا في وظيفته التوفيقية أمكن ان يتحقق للانسان الاتزان والسواء والصحة النفسية " (٣٧) ومن زاوية اخرى قد يكون التعصب منطلقاً من رغبة مكنونة في تبؤ المواقع المميزة عن غيرها ، إن كان يركز على مفهوم التنافس • وهو مفهوم ايجابي ان كان موجها للبناء ، وقد دعا القرآن الكريم الى التنافس في تقوى الله (٣٨)، ((ان الابرار لفي نعيم * على الارائك ينظرون * تعرف في وجوههم نضرة النعيم * يسقون من رحيق مختوم * ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون *)) (٣٩) ويمكن تحديد السمات الشخصية العصابية بالآتي :

- ١- أكثر سمات الشخصية كفاءة في ارتباطها بالاتجاهات التعصبية هي التصلب والتطرف (التطرف الايجابي خاصة) والعداوة والجمود والمجاعة السلوكية
- ٢- أقل سمات الشخصية كفاءة في ارتباطها بالاتجاهات التعصبية هي العصابية
- ٣- أكثر السمات الشخصية التي ارتبطت بالاتجاهات التعصبية ارتباطات دالة ، عكس اتجاه التنبؤ ، هي سمة التعصب
- ٤- أكثر الاتجاهات التعصبية ارتباطا باغلبية سمات الشخصية هي الاتجاهات التعصبية السياسية والرياضية والقومية والتعصب للجنس
- ٥- أقل الاتجاهات التعصبية ارتباطا بسمات الشخصية هي الاتجاهات التعصبية الطبقية
- ٦- أكثر الاتجاهات التعصبية التي ارتبطت بسمات الشخصية ارتباطات دالة عكس اتجاه التنبؤ هي الاتجاهات التعصبية الاقليمية •

٧- وتشير الدراسات الى ظهور اكبر عدد من الارتباطات الدالة ، في اتجاه التنبؤ ، بين الاتجاهات التعصبية وسمات الشخصية لدى عينة الاناث الراشداًت بينما ظهر اقل عدد من هذه الارتباطات لدى عينة الاناث المراهقات (٤٠)

آثار التعصب :

- ١- التراجع العلمي والفكري في المجتمعات المتعصبة ، نظرا لمعطيات السلوك التفكيرى السلبى
- ٢- النكوصات النفسية التى تلف المجتمعات المتعصبة ، لانعدام مفاهيم التبادل المعرفى والوجدانى
- ٣- الانغلاق وعدم الانفتاح على الثقافات الاخرى مما يحد من مستوى التفكير والاداء .
- ٤- وبخُصوص الجانب الاجتماعى ، فمن آثاره : تفكك البناء الداخلى للمجتمع الإسلامى ، و دخول طوائفه فى نزاعات و صراعات مذهبية عنيفة ، تخللها السب و الطعن ، و التشهير و الازدراء ، و التنافر و التنافر ، و التباغض و التدابر ، و التكفير و التضليل ، و التبديع و التفسيق .

(٤١)

- ٥- ضعف رباط الأخوة الإسلامية القائم على الدين ، و حلول التعصب المذهبى محله ، كرباط يجمع أبناء الطائفة الواحدة ، و يُباعد بينهم و بين أبناء الطوائف الأخرى ، مما يؤدي إلى تكريس التعصب و الشقاق ، و التنافر و التنافر ، و اختصاص كل طائفة بمساجدها ، و مدارسها ، و طلابها ، و أساتذتها ، و أحيائها السكنية .(٤٢)
- ٦- إنه أفسد العقل الطبيعى الفطرى الذى مدحه القرآن الكريم ، و أثنى على أصحابه فى آيات كثيرة جدا ، و هم أولوا الألباب و النهى ، و أصحاب الفطر السليمة ، فيفسد ذلك التعصب هذا العقل الفطرى و مسخه ، و أبعد عن نور الهداية الربانية .(٤٣)

حلول :

- ١- نشر العلم والمعرفة التى من شأنها توسيع المدارك العقلية وبالتالي تفتح النفس والوجدان على الانسجام مع الالوان المختلفة من المجتمع .
- ٢- الانفتاح على ثقافة الآخر ، وتقبل الافكار الاخرى وان كانت مخالفة للمعتقدات مع التأكيد على ضرورة الحفاظ على الهوية .
- ٣- بث ثقافة التسامح ، وبيان احقية الناس كافة فى طرح افكارهم واعتقاداتهم انطلاقا من قوله تعالى : ((لا اكراه فى الدين)) :
- ٤- تفهم ان لكل عقل مستوى معين من القدرات التى تمنحه التكيف مع الظروف المحيطة بطرق مختلفة كل حسب ثقافته وفكره .

- ٥- التعامل الإيجابي مع تراثنا الإسلامي ، - على اختلافه و تنوعه- بأن ننظر إليه نظرة شاملة متوازنة نافعة ، بلا إقصاء و لا إغماط ، و بلا تقزيم و لا مبالغة ، و بلا تعصب أعمى ، فنستفيد من إيجابياته - و ما أكثرها - فنأخذ بها ، و نعتبر بسلبياته - و ما أكثرها أيضا- فنتعلم منها و نتجنبها ، بلا مخصصات و لا مزايدات . (٤٤)
- ٦- الحرص و السعي الجاد لإيجاد إرادة تغيير لدى السياسيين و العلماء و الجماهير الإسلامية لتقبل مشروع مقاومة التعصب المذهبي ، على مستوى الأفكار و المشاعر و الأفعال ، و يتم ذلك بناء على اتفاق مُسبق بين كل الأطراف المعنية . (٤٥)

الخاتمة :

مما تقدم يمكن ان نخلص الى النتائج الاتية :

- ١- التعصب : نمط أيديولوجي يحكم المجتمعات ، و لا يخلو أي انسان منه ، انما تختلف درجته بين الافراد .
- ٢- يقسم التعصب على نوعين :
 - أ- تعصب ايجابي : وهو النمط الذي يوظف صاحبه الامكانيات جميعا في مجال الصلاح والخير
 - ب- تعصب سلبي : وهو النمط الذي يوظف صاحبه الامكانيات جميعا في مجال التدمير والشر

وقد يجتمع النوعان في الفرد ذاته ، فيظهر تعصبه الايجابي ازاء بعض القضايا التي تستدعي التعصب كالتعصب للحق ، ويحمل التعصب السلبي ازاء قضايا اخرى .
- ٣- التأكيد على اهمية الحفاظ على الهوية لكل مجتمع ، مع استيعاب تجارب الاخرين والافادة من نتائجها الايجابية وتفادي نتائجها السلبية .
- ٤- الانفتاح على الآخر ، وادراك اهمية التعايش في ظل الالوان المختلفة والمتعددة مهم في علاج تعصب المجتمعات .
- ٥- الاطلاع والمعرفة هما عاملان مؤثران في فتح مدارك العقول على القضايا الانسانية بمختلف اشكالها وبالتالي تفهم اختلاف احتياجات الانسان من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان .
- ٦- اهمية ادراك ان التغيير هي سنة الله في هذا الكون وان للحياة البشرية خطا بيانيا تصاعديا .

المصادر والمراجع

القران الكريم

- ١-أضواء على التعصب :مجموعة من الباحثين، ١٩٩٣، ط١
- ٢- العزلة والمجتمع : نقولا بريديالف ، ترجمة : فؤاد كامل عبد العزيز مراجعة : علي أدهم ، القاهرة ١٩٦٠م .

- ٣- الأنا والآخر والجماعة - دراسة في فلسفة سارتر ومسرحه : سعاد حرب ط١ ، ١٩٩٤ ، بيروت .
- ٤- التعصب المذهبي في التاريخ الدكتور خالد كبير علال : ٢٠٠٨ م ، الجزائر
- ٥- سيكولوجية التعصب : اندريه هاينال ، ميكائوس موانار ، جيرار دي بوميج ، ترجمة : خليل احمد خليل ، ط١ ، ١٩٩٠
- ٦- التعصب والاسلام: خورشيد احمد، ترجمة: سعد زغلول ابو سنة القاهرة ١٩٧٧م
- ٧- الرق ماضيه وحاضره : عبد السلام الترماني ، الكويت ١٩٧٩م
- ٨- الفكر التربوي العربي الحديث: د. سعيد اسماعيل علي ، ١٩٨٧م الكويت
- ٩- القرآن وعلم النفس : محمد عثمان نجاتي ، القاهرة ٢٠٠١م ، ط٧ .
- ١٠- المرأة الانثى بعيدا عن صفاتها : آني انزيو ، ترجمة : طلال حرب ، ط١ ١٩٩٢م ، بيروت .
- ١١- المراهقات والطب النفسي : د. يسري عبد المحسن ، القاهرة ١٩٩٠م .
- ١٢- تراث الاسلام : د. حسن نافعة ، كيلفورد بوزورث ، ترجمة حسين مؤنس د. احسان العمد ، مراجعة : د. فؤاد زكريا ، ج١٩٩٠م .
- ١٣- تراث الاسلام : تصنيف : جوزيف شاخت ، كيلفورد بوزورث ترجمة :
- ١٤- جدلية الأنا واللاوعي : ك. غ. يونغ ، ترجمة نبيل محسن ، ط١٩٩٧م ، ط١ .
- ١٥- مصادر الخوف والواقع احساسا وشعورا: حسن علي ابراهيم د. ط ، د. ت د م
- ١٦- الاتجاهات التعصبية : د. معتز السيد عبد الله ، ١٩٨٩م ، الكويت
- ١٧- معالم على طريق تحديث الفكر العربي : د. معن زيادة ، ١٩٨٧م الكويت .
- ١٨- مقدمة لتاريخ الفكر العلمي : د. احمد سليم سعيديان ، الكويت ١٩٨٨م
- د. محمد السمهوري ، د. حسين مؤنس ، د. احسان العمد، تعليق وتحقيق : د. شاكرا مصطفى مراجعة : د. فؤاد زكريا ، ١٩٨٥م الكويت ج١ .
- ١٩- النهاية في غريب الحديث والأثر (ابن الأثير) تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، ط

المراجع الاجنبية

- *BODY LANGUAGE How to read others' thoughts by their gestures, ALLAN PEASE, London, Tenth impression, 1988*
- *My Great Love for Jesus Led Me to Islam, Simon Alfredo Caraballo, The Qur'anic quotations were extracted from the SAHEEH INTERNATIONAL*

translation and the Biblical texts from THE HOLY BIBLE, NEW KING JAMES
VERSION (Thomas
Nelson Publishers: Nashville, 1982).

الهوامش :

- ١ - مقدمة لتاريخ الفكر العلمي د. احمد سليم سعيدان ، الكويت ١٩٨٨ م : ١٣٩
- ٢ - معالم على طريق تحديث الفكر العربي: د.معن زيادة، ١٩٨٧م الكويت ١١
- ٣ - م.ن : ١٢
- ٤ - م.ن : ١٦
- ٥ - النهاية في غريب الحديث والأثر (ابن الأثير) تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، ط ٤ : ٧٠/٢
- ٦ - (ينظر) تراث الاسلام د. حسن نافعة ، كيلفورد بوزورث ، ترجمة حسين مؤنس د. احسان العمدة ، مراجعة : د. فؤاد زكريا ، ج. ١٩٩٠، م ٢ : ج ١ ، ص ١٨٩
- ٧ - سورة النحل : آية ٧٨
- ٨ - سورة الروم : آية ٣٠
- ٩ - (ينظر) Body language : (ترجمة الباحثة بتصرف) : ٨ النص الانكليزي : When a man passes a woman in a crowded street ,he usually turns his body towards her as he passes; she usually turns her body away from him. Does she instinctively do this to protect her breasts? Is this an inborn reaction or has she learned to do this by unconsciously watching other females
- ١٠ - سورة الأعراف : آية ٢٦
- ١١ - سورة النور : آية ٣١
- ١٢ - سورة النور : ٣١
- ١٣ - سورة النور : ٣١
- ١٤ - الرق ماضيه وحاضره عبد السلام الترماني ، الكويت ١٩٧٩ م : ص ١٧
- ١٥ - الفكر التربوي العربي الحديث د. سعيد اسماعيل علي ، ١٩٨٧م الكويت : ص ٢٠
- ١٦ - الرق ماضيه وحاضره : ٦٧-٦٨
- ١٧ - سورة البقرة : آية ٢٥
- ١٨ - أضواء على التعصب : ١٤٨
- ١٩ - م.ن : ١٤٩
- ٢٠ - تراث الاسلام ج ٢ ، ص ٨٦
- ٢١ - تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي محمد جابر الانصاري ، ١٩٨٠م ، الكويت : ص ١٢٤

- ٢٢- التعصب والاسلام: خورشيد احمد، ترجمة: سعد زغلول ابو سنة القاهرة ١٩٧٧م : ص ٢٠
- ٢٣- (ينظر) : الأنا والآخر والجماعة دراسة في فلسفة سارتر ومسرحه : سعاد حرب ط١، ١٩٩٤، بيروت ٠ : ٢٣٠
- ٢٤- مصادر الخوف والواقع احساسا وشعورا مصادر الخوف والواقع احساسا وشعورا: حسن علي ابراهيم د٠ ط د٠ ت ، م٠ د : ١٢
- ٢٥- (ينظر) : العزلة والمجتمع نقولاي برديالف ، ترجمة : فؤاد كامل عبد العزيز مراجعة : علي أدهم ، القاهرة ١٩٦٠م : ١٠٩
- ٢٦- My Great Love for Jesus led me to islam : (ترجمة الباحثة بتصرف) : النص الانكليزي : Islam also calls for establishing dialogue with the others and inviting them with wisdom and beautiful exhortation to embrace this true religion : ٧٤
- ٢٧- المرأة الانثى بعيدا عن صفاتها أني انزيو ، ترجمة : طلال حرب ، ط١ ١٩٩٢م ، بيروت ٠ : ص ١٥٢
- ٢٨- المراهقات والطب النفسي د٠ يسري عبد المحسن ، القاهرة ١٩٩٠م ص ١٠
- ٢٩- (ينظر) : سيكولوجية التعصب اندريه هاينال ، ميكاس موانار ، جيرار دي بوميج ، ترجمة : خليل احمد خليل ، ط١ ، ١٩٩٠ : ص ٨
- ٣٠- سورة الاعراف : آية ١٢
- ٣١- سورة هود: آية ٤٣
- ٣٢- سورة الانبياء: ٦٨
- ٣٣- سورة النازعات : ٢٤
- ٣٤- سورة الاعراف : من آية ١٢٣
- ٣٥- سورة يوسف : آية ٨
- ٣٦- (ينظر) جدلية الانا واللاوعي : ٩٠
- ٣٧- القرآن وعلم النفس محمد عثمان نجاتي ، القاهرة ٢٠٠١م ، ط٧ ٠ : ٢٣٤
- ٣٨- م٠ ن : ٤٩
- ٣٩- سورة المطففين : اية ٢٢-٢٦
- ٤٠- (ينظر) : الاتجاهات التعصبية د٠ معتز السيد عبد الله، ١٩٨٩م ، الكويت : ١٩٤
- ٤١- التعصب المذهبي في التاريخ الدكتور خالد كبير علال: ٢٠٠٨م ، الجزائر: ١٦٠
- ٤٢- م٠ ن : ١٦٢
- ٤٣- التعصب المذهبي : ١٦٤
- ٤٤- م٠ ن : ١٧١
- ٤٥- م٠ ن : ١٧١

